وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

في المغرب العربي
الحصون الثقافية الإسلامية تواجه تحديات التغريب

□□ هنا في فاس - مدينة القرويين - التاريخ لا يمكن بحال من الأحوال أن يبقى وراءنا .. فبمجرد وصولنا إليها ، أخذ التاريخ مكانه أمامنا .. ممتداً من جذور الماضي البعيد - عبر الحاضر - إلى آفاق المستقبل وتطلعاته حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

فالحضارة والثقافة التي ارتكزت عليها المدينة المسلمة هي حضارة وثقافة الرسالة الخالدة والديانة الخاتمة .. التي مكنتها من الوقوف أمام العسكر الاسباني والبرتغالي والفرنسي والصليبي ، وأمام موجات التغريب ورياحه ، في زمن الاستعمار والغزو الفكري والثقافي ..

من هنا كان التاريخ أكبر من أن يُتجاوز أو تحول دون عطائه وتألقه الحواجز والسنون .. لأنه لا يزال أكثر عطاء من الحاضر بمآسيه وفرقته وتمزقه ومحاولات إبعاده عن الأصالة .. ولولا ارتكاز هذا الحاضر عليه لافتقدنا وجودنا ، ولما استطاع الجيل المسلم اليوم أن يستأنف طريقه ليصل ما انقطع من تاريخه ، ويتابع ما توقف من حضارته .. وما من أحد مهما كان توجهه يستطيع أن ينكر على القرويين في فاس انها كانت دوماً الشعلة الأولى لجميع حركات الاصلاح ، فهي معقل الاسلام وحصن العربية ومصدر الحركات التحريرية ، وما نود الإشارة إليه والإشادة به هو ما تفضل به بعض الإخوة من أهل العلم والمعرفة من علماء الحضارة والتاريخ ، فحدثنا الحديث الدقيق الذي لم يكن لنا أن نحصل عليه ، ولو دامت رحلتنا طويلاً ، لأنه ثمرة لقراءات ودراسات ومعايشات طويلة .. فنحن نشكر هؤلاء الإخوة الذين ساهموا معنا في الوصول إلى هذه المعلومات الهامة ، التي يمكن أن نصفها بأنها وثائقية ، من جانب ، وثقافية حضارية علمية استطلاعية شمولية ، من جانب آخر .

لذا فسوف نستميح القارىء عذراً إذا جاء الكلام - في معظمه - تاريخياً ، ومن الأشياء التي نعتز بها في هذا الاستطلاع أيضاً ، مقابلتنا لأحد المهندسين المتخصصين بالمحافظة على المدن القديمة من أبناء فاس : هو الأخ العربي أبو عياد ليحدثنا عن إنقاذ مدينة فاس ، حيث كثر الكلام في الصحافة العربية والاجنبية عن مشروع « إنقاذ فاس » ، وهو - في الوقت نفسه - من الفريق الوطني المشارك في هذا المشروع □□

فاس في الحضارة والتاريخ

This file was downloaded from QuranicThought.com

مدينة العلم والجهاد

فاس مدينة أسست على تقوى من الله ورضوان . سنة (١٩٢هـ) ، ومؤسسها رجل من أعلام المسلمين المهاجرين من الحجاز إلى المغرب ، وهو **إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه** ، وكان هذا التأسيس رمزاً لبلورة **الاسلام واللغة العربية** بالمغرب ، حيث إن **إدريس** كان منارة شعَّت أنوارها في هذه البلاد ،

وجعلت أصداءها تصل إلى أقطار بعيدة وقريبة ، فمن مدينة **القيروان** ، وهي إذ ذاك ملتقى التفكير والحضارة الاسلامية في المغرب الاسلامي ، هاجرت إلى فاس جماعة كبيرة فيهم العالم والطالب والصانع والتاجر والفلاح ، ومن **قرطبة** ، وهي إذ ذاك عاصمة تشع أنوارها في أوربا وأفريقيا ، هاجرت مجموعة من الأسر الأندلسية فيها العالم والطالب والصانع والتاجر والمحترف ،

كل هؤلاء الذين أتوا من القيروان أو من قرطبة ، وجدوا في **فاس** صدراً رحباً ومقاماً طيباً ، بل إن **الإمام إدريس** وزع بين الفئتين المهاجرتين أرض هذه المدينة ، وأباحهم إياها للتعمير والسكنى ، وجعل النهر فاصلاً بين الفئتين وتسمى الجهة التي سكنها القيروانيون ، وهي الجهة الغربية باسم **عدوة القرويين** ، وتسمى الجهة الشرقية التي سكن فيها الأندلسيون باسم **عدوة الأندلس** ، وهذا الاطار الحضاري ما زال مستمراً إلى الآن .

(**والقرويون**) تعني **المسجد** الذي يقع في عدوة أهل القيروان ، وقد بني هذا المسجد في شكله الأول على نفقة امرأة مؤمنة صالحة **هي السيدة أم البنين القيروانية سنة** (٢٤٥هـ) ، وجعلت عملها هذا مبرة ما زالت

□ ما يزال مسجد القرويين ينبض بالحياة وتقام به حلقات العلم □

□ وادي فاس بالقرب من الحديقة العمومية □

عطاءاتها الدينية والعلمية واللغوية مستمرة إلى الآن .

وفي المقابل بعدوة الأندلس أسست **السيدة مريم القيروانية** مسجداً آخر يسمى مسجد الأندلس ، كان هو الآخر مبرة من المبرات العلمية والدينية ، التي أعطت عطاءاتها طيلة قرون ، وكان كل من **مسجد القرويين** ، **ومسجد الأندلس** يكونان جامعة تجمع طلبة العلم من أقاليم شتى ، منهم الأندلسي والقيرواني والتلمساني والصحراوي والسوداني ، ويسجل التاريخ أن (**القرويين**) كجامعة لم تكن خاصة بالمغرب ولا بأهل فاس ، بل إن إطار التدريس فيها كان من نصيب علماء ترجع أصولهم إلى أقطار شتى ، ومدن شتى ، فنجد فيهم (**التلمساني والقشتالي والدكالي والسوسي**

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

فــاس .. فـي الحضــارة والتــاريــخ

■■ مدير تحرير « الأمة » يستمع إلى شاهد التاريخ : الشيخ أحمد بن محمد الحجامي يتحدث عن عطاء القرويين العلمي ومكانتها كمعقل للإسلام وحصن للعربية .. انطلقت منها ثورة الأمير عبد الكريم الخطابي ■■

● الإطار الحضاري لمدينة المساجد والجهاد .. لايزال يشع بنوره على المغرب الإسلامي إلى الآن بعطاءاته الدينية والعلمية واللغوية .

This file was downloaded from QuranicThought.com

□ يوم الجمعة الاعلام على المآذن تشير إلى حلول وقت الصلاة □

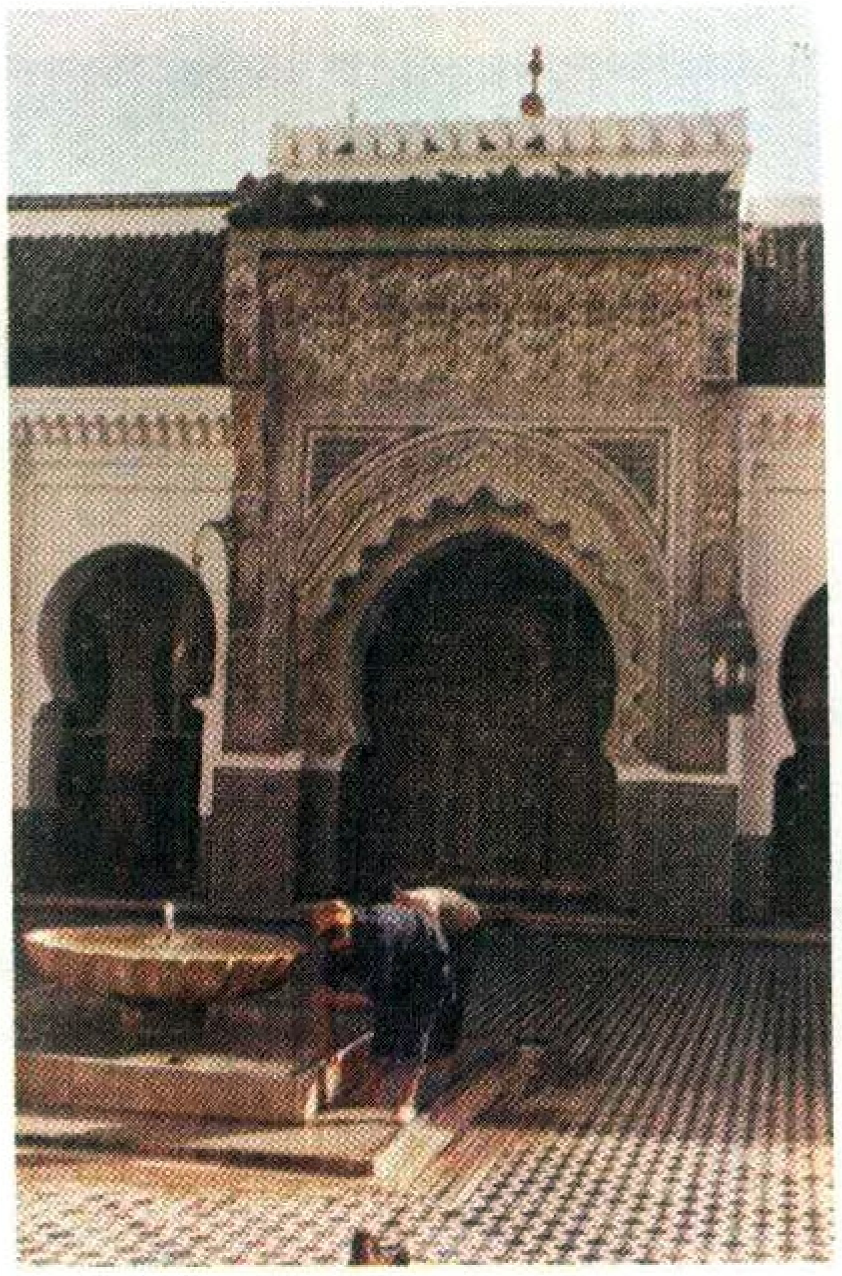

□ الاستعداد المبكر لصلاة الجمعة □

● **الحضارة والثقافة التي ارتكزت عليها مدينة فاس .. مكنتها من الوقوف أمام العسكر الأسباني والبرتغالي والفرنسي والصليبي بوجه عام .**

والصحراوي والفاسي) كما نجد أن أهل مدينة فاس أسرعوا ، وفي مختلف العصور ، إلى تضخيم الأحباس والأوقاف على **القرويين** ، فحبسوا عليها غلات أسواق كثيرة ، وغلات بيوت كثيرة ، وغلات جنات وحقول ومزارع خارج فاس ، زيادة على الحمامات والأفران والمصانع ودور الدباغة وغير ذلك ، فأحباس القرويين ، ولحد الساعة ، **من أغنى الأحباس في العالم الاسلامي** ، وفي مقدمة ما تستغل فيه هذه الأحباس : **نشر العلم ، وبناء المساجد ، ورعاية القائمين بها ، ومنح طلبة العلم وإيواؤهم وتأمين ما يحتاجونه ..**

وفي عصر **بني مرين** أسست إلى جانب القرويين (**المدارس الداخلية**) وهذه المدارس تشتمل على عدة بيوت مهيأة لسكنى طلبة العلم حتى يقضوا بها سنوات طلب العلم والتزود من المعرفة مع جراية يومية يتقاضونها ، وهذه المدارس ما زالت قائمة إلى الآن ، وهي تحمل طابعاً فنياً جميلاً ، ولا سيما منها : **المدرسة العنانية** التي أسسها **السلطان أبو عنان المريني** ، وتتابع تأسيس المدارس العلمية في فاس التابعة لجامعة القرويين على مر العصور ، فقد أسس السلطان **مولاي رشيد** في القرن الحادي عشر الهجري المدرسة الكبرى المسماة (**المدرسة الرشيدية**) وكل هذه المدارس سكن بها طلبة العلم ، ونالوا رغائبهم وإجازاتهم ، ورجعوا إلى أوطانهم ينشرون العربية والاسلام ، والوعي الوطني الاسلامي **مما نجد آثاره واضحة عند القائمين بالدعوة إلى الله وإلى الجهاد في سبيل الله** ، ونحن نعلم أن بطل الريف **محمد بن عبد الكريم الخطابي** - رحمه الله - كان من طلبة القرويين ، كما نعلم أن **المجاهدين الذين قاوموا الامتداد الصليبي من عهد البرتغال إلى الحقبة الأخيرة ، كان جلّهم ممن درسوا بالقرويين ، واتخذوا بهذه الجامعة شيوخاً وأساتذة .**

وفي مدينة **فاس** يتجلى الطابع الاسلامي ، وإلى الآن ، بكثرة مساجدها التي تربو على **خمسمائة مسجد** ، وقد كانت هذه المساجد لا تخلوا من ذكر الله وإقام الصلاة وتلاوة القرآن وتدريس العلوم الاسلامية ، كما يتجلى الطابع العربي في هذه الأسواق المنتظمة حول القرويين ، فهناك (**القيسارية**) وهي مجموعة أسواق يباع فيها أنواع البز ، وأنواع الحلي ، وأنواع الملبوسات المخيطة وغير المخيطة ، وهناك سوق **العطارين والنجارين والشماعين والنخالين** ، وما إلى ذلك من أنواع الصناعات والمعاشات ، وهناك معامل كثيرة للدباغة والخرازة والنساجة وغير ذلك .

أما الشيء الذي امتازت به مدينة **فاس** ومنازلها ومساجدها فهو

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(**الزليج**) ، الذي يحمل الطابع العربي المحلي ، وهو الآن ظاهرة من ظواهر الحضارة المغربية الاسلامية العربية .

والمرأة في مدينة **فاس** امتازت بأصالتها ومحافظتها ، واتباعها لمنهاج الاسلام في التصون والتعفف ، وكثير منهن أعطين مبرات إحسانية مسجلة في سجلات الأحباس وإلى الآن .

وهناك في مدينة **فاس** آثار إسلامية ، هي بالتأكيد أعظم من الآثار الاسلامية الباقية في **غرناطة** ، حيث إن المدينة (**القديمة**) ما زالت تحتفظ بمبان سكنية وإحسانية ومساجد ، لها من العمر ما يزيد على **سبعة قرون** ، فهيكل مسجد القرويين مثلاً هو من آثار **علي بن يوسف بن تاشفين** حيث بني سنة (**٥٣٩هـ**) كما هو مسجل على منبر الخطبة في هذا المسجد العتيق ..

المهاجرون من الأندلس

إن الزحف الصليبي على **الأندلس** (ما يسمى بحروب الاسترداد !!) جعل المسلمين يلتجئون إلى المغرب بوسيلتين :

الوسيلة الأولى :
استنجادهم بالملوك والدول القائمة في المغرب .

الوسيلة الثانية :
الهجرة الفردية والجماعية إلى المدن المغربية ..

الوسيلة الأولى ، معروفة في التاريخ ، من عهد يوسف بن تاشفين الذي صفى نظام **ملوك الطوائف** سنة (٤٨٤هـ) وهو بطل معركة الزلاقة سنة (٤٧٩هـ) (الدخول إلى بيت المقدس بعد ست

● معظم المجاهدين الذين قاوموا الامتداد الصليبي - من عهد البرتغال إلى الحقبة الأخيرة - درسوا بالقرويين واتخذوا بها شيوخاً واساتذة .

□ محراب جامع القرويين □

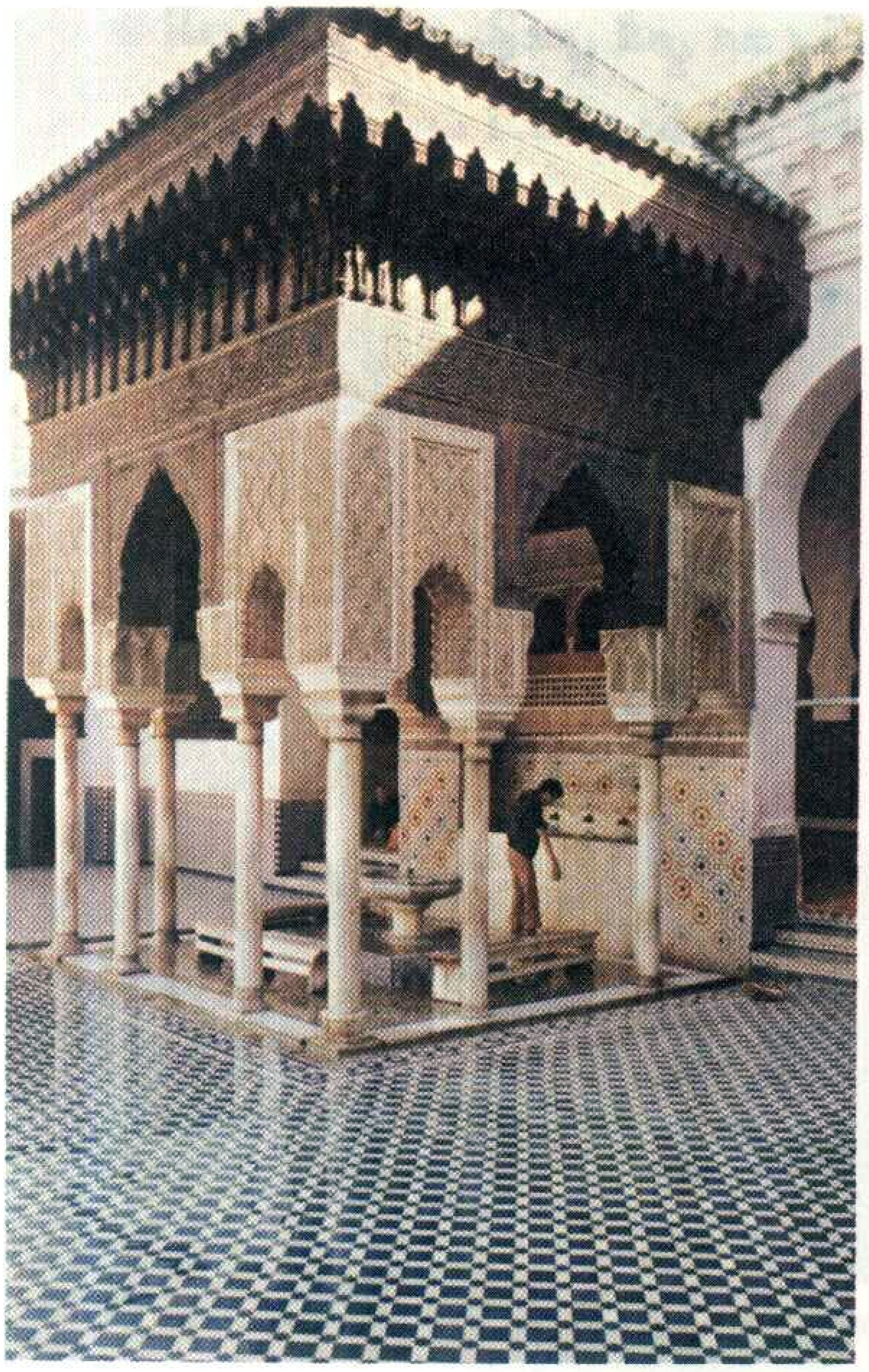

□ احد أمكنة الوضوء داخل المسجد □

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCIPAL TRUST FOR QURANIC THOUGHT

سنوات من معركة الزلاقة) حوالي (**عام ٤٨٥هـ**) وهو جواب صليبي لانتصار **يوسف بن تاشفين** في معركة الزلاقة .

(**البابا - والاسبان والانكليز والفرنسيون والبرتغال والنورماند والايرلاند**) .

أما المهاجرون إلى **فاس من الأندلس** ، فقد تعددت هجراتهم الأولى منذ عصر التأسيس ، حيث سكنوا في **عدوة الأندلس** ، **وكذلك جاؤوا في عصر المرابطين كشخصيات علمية وتجارية وصناعية** ، **وفي عصر الموحدين** هاجرت جماعات إلى **فاس** ، فنجد مثلاً أسراً من فاس تنتمي إلى هذا العصر منها عائلة (**الغرديس**) التي ما زالت في فاس إلى الآن ، وعندهم نزل القاضي **عياض** سنة (**٥٤٣هـ**) وتتابعت الهجرات إلى فاس في عصر **المرينيين والسعديين والعلويين** ،

وما زالت في فاس أسر مثل (**الغرناطي والمالقي والمرسي والروندي والاشبيلي**) ، وهناك أسر أندلسية معروفة ، مثل : (الشُرْفي والفاسي وابن سودة وعباد) .. وغيرهم .

أما **الموريسكيون** ، أصحاب الجلاء الأخير الذي تم سنة (**١٠١٧هـ**) الموافق (**١٦٠٥م**) فقد سكن كثير منهم في **الرباط وسلا وتطوان** وبعض البوادي المغربية ، ولهم تاريخ معروف حيث إن بعضاً منهم وصلوا إلى مدينة تونس وبجاية وتلمسان ووهران ، ولهم أخبار هناك ..

فاس في العصر الحديث

والآن ماذا عن دور جامعة القرويين في رسالتها العلمية والدينية واللغوية ؟

واكبت التاريخ الاسلامي منذ القرن الثالث الهجري وإلى الآن - لقد زارها في **عصر المرابطين ابن رشد « الجد »** والفيلسوف الأندلسي **ابن باجّه** ، ثم كان لها أثر واضح في نشر المعرفة في عهد

● جامعة القرويين لم تكن خاصة بالمغرب ولا بأهل فاس . . . والمدرسون فيها علماء من جميع الأقطار .

● الطابع الاسلامي في مدينة فاس . . يتجلى في كثرة مساجدها التي كانت تعمر بذكر الله وتدريس العلوم الاسلامية .

□ مسجد المولى إدريس وسوق العطارين والقيسارية □

This file was downloaded from QuranicThought.com

مؤسسة الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

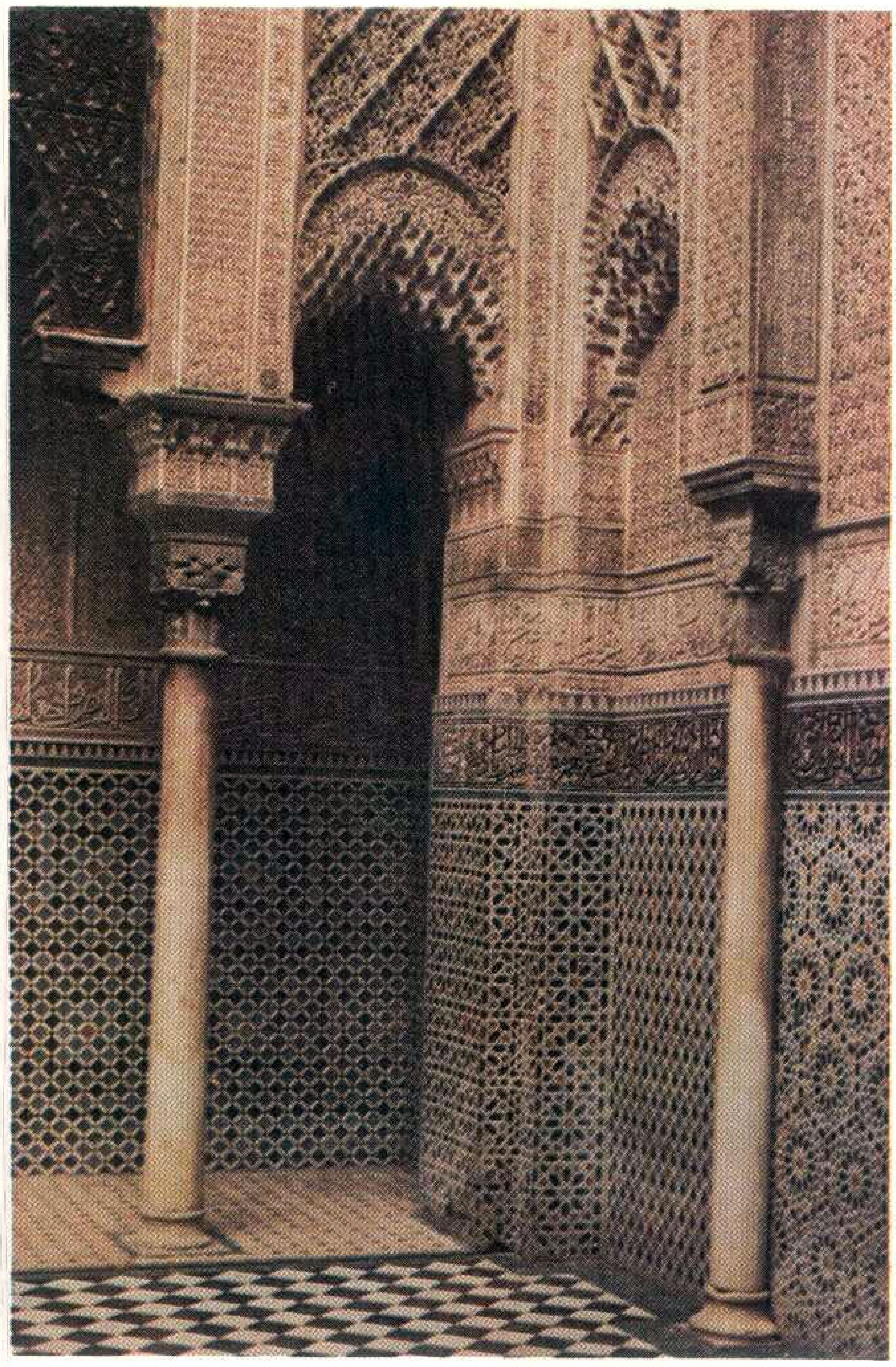

□ مدرسة العطارين □

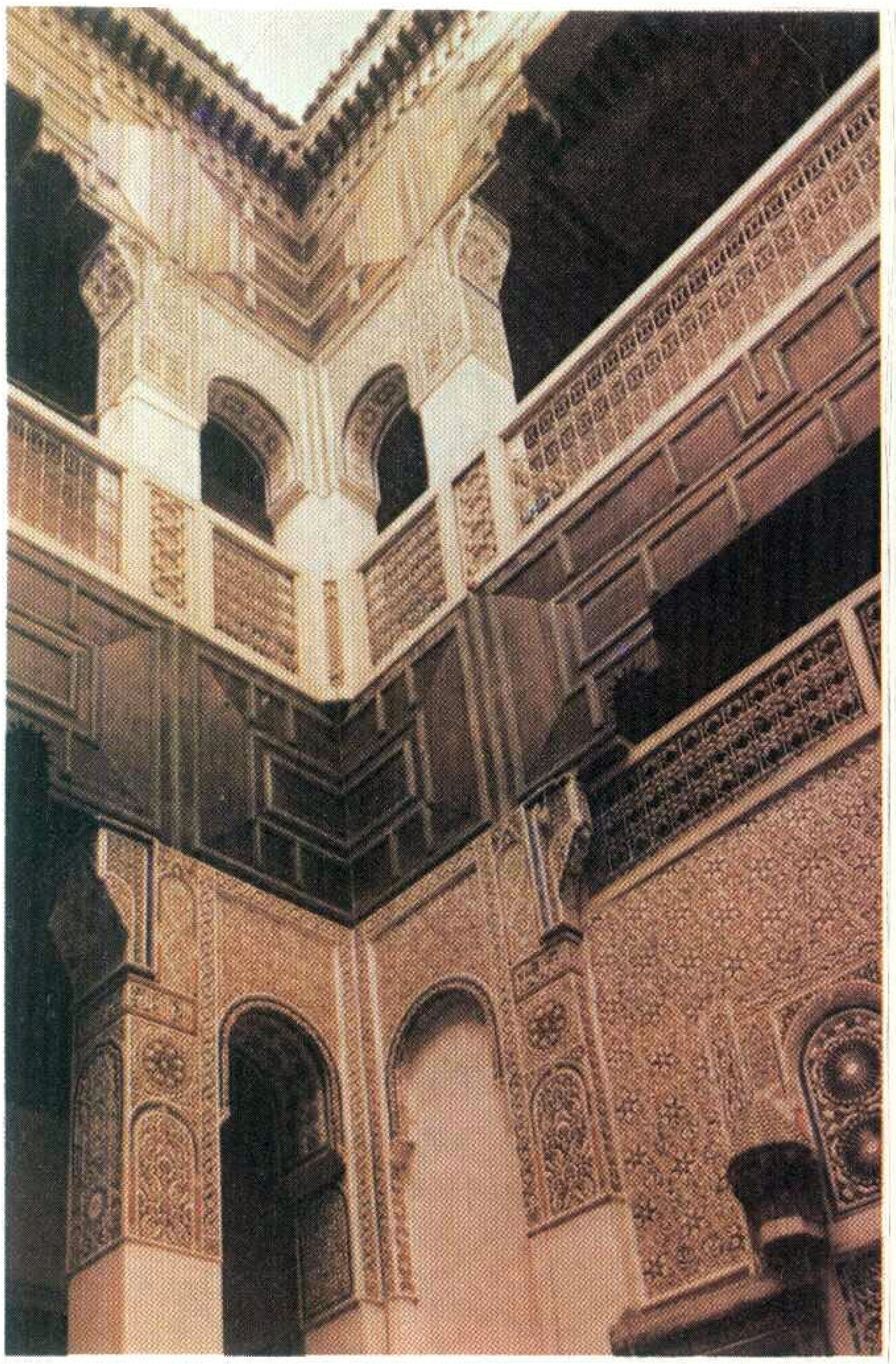

□ انموذج للبيوت السكنية في المدينة القديمة □

دولة الموحدين ، ثم دولة **بني مرين** ، حيث زارها **ابن خلدون ولسان الدين بن الخطيب** ، وتابعت مسيرتها حيث احتضنت أعلاماً جاؤوها من الأندلس والمغارب الثلاثة (الأدنى والأوسط والأقصى) والصحراء والسودان ، وأصداء هؤلاء الأعلام نجدها في كتب التاريخ والطبقات ،

لا سيما منها كتب **أبي العباس المقري** المتوفى بالقاهرة سنة (١٤٠١هـ) وكتب **أبي العباس بن القاضي** الذي زار المشرق وألَّف كتباً مفيدة ، منها (**أعلام من القرويين**) ، وقد توفي ابن القاضي بمدينة **فاس** سنة (١٠٢٥هـ) وكانت صلات علماء القرويين وثيقة بإخوانهم **بالأزهر الشريف وجامع الزيتونة بتونس** ، فهناك صلات قوية بل روابط وشيجة ، وقد انعكس هذا على كتب الأزهريين والزيتونيين ، فنجد في فهارسهم وبرامجهم تداول الإجازات بين علماء القرويين وبينهم ، وكانت اللغة العربية تجد في **القرويين** حصنها الحصين ، ولا ننسى أن عالماً من علمائها ، وهو **ابن أجروم** في القرن الثامن الهجري هو الذي ألَّف الكتاب الدراسي الشهير في العالم الاسلامي باسم « **المقدمة الأجرومية** » **فهذا الكتاب كان هو المادة اللغوية والنحوية والصرفية التي تدرس في مدن العالم الاسلامي شرقاً وغرباً** ،

وإلى الأمس القريب ، وهذا إشعاع انطلق من رحاب القرويين دليلاً على تمسك أهلها بلغة الضاد وبراعتهم في علومها التي كانت تدرس على مستويات متعددة ، ولعل فيما كتبه المؤرخون عن القرويين في مختلف العصور ما يكفي للدلالة على الأيادي البيضاء التي كانت لعلماء هذه الجامعة وطلبتها ومؤلفات رجالها ، وشهرة أعلامها ، وذلك هو الرصيد الذي نرجع إليه عندما نريد التبحر والتعمق في هذا الموضوع .

وتحتفظ جامعة **القرويين** وإلى الآن بخزانة أسهم في تكوينها عدد من العلماء وأهل البر والاحسان والملوك والأفراد والنساء والرجال ، فأوقفوا على هذه الخزانة كتباً خطية نفيسة في مختلف العلوم والفنون ، دينية وأدبية وفنية ، وإن رفوف هذه الخزانة حافلة ـ وإلى الآن ـ بمؤلفات سلفنا الصالح من مشارقة وأندلسيين ومغاربة .

وإلى الآن توجد فيها **نسخة خطية**

This file was downloaded from QuranicThought.com

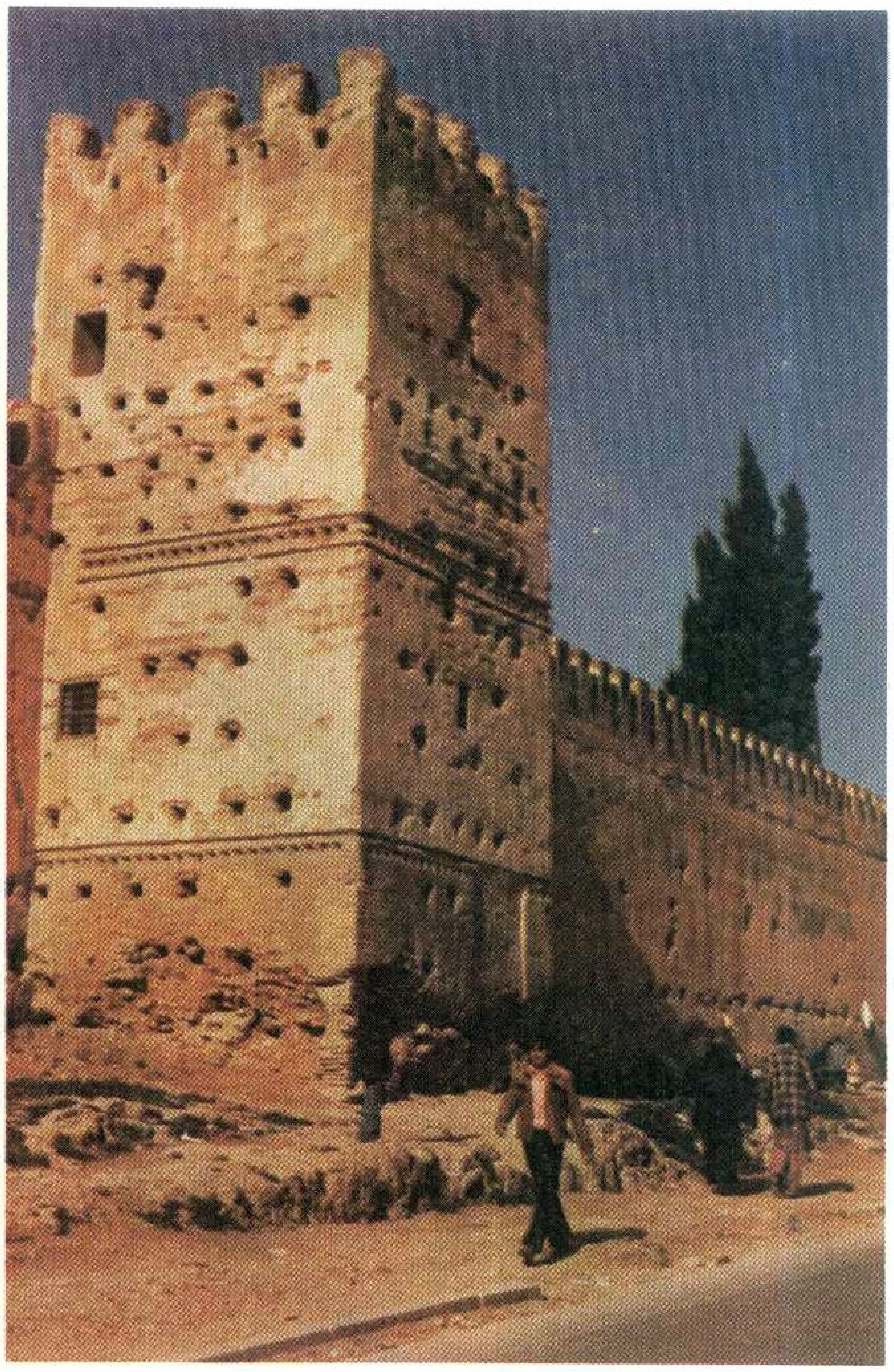

□ سور المدينة من الجهة الغربية □

□ ساحة النجارين □

● من علماء القرويين : ابن أجروم .. صاحب « المقدمة الأجرومية » في النحو والصرف .. التي كانت تدرس في مدن العالم الاسلامي إلى الأمس القريب .

● تداول الإجازات العلمية بين علماء القرويين وإخوانهم بالأزهر الشريف وجامع الزيتونة يؤكد الروابط الوثيقة بين الجامعات الإسلامية الثلاث .

من كتاب « **البيان والتحصيل** » لابن رشد وهو من أعظم كتب الفقه الاسلامي ، كما أن فيها **بعض أجزاء النسخة الخطية التي كتبها ابن خلدون** لتاريخه وعليها خط يده ، كما كتبه بنفسه .

وفي العصر الحديث بقيت «**القرويين**» حاملة مشعل الثقافة الاسلامية واللغة العربية ، وفي أقسامها تكون رجال العلم والفكر بالمغرب **الذين استطاعوا أن يقفوا وقفة شريفة نبيلة أمام الدسائس الاستعمارية التي كانت تحاول التشكيك في قيمة العلوم الاسلامية ، ومكانة اللغة العربية ، كما كان لهم موقف شريف يوم حاول الاستعمار الفرنسي أن ينبش التاريخ ليخرج القضية البربرية واللهجات البربرية وذلك سنة (١٩٣٠م - ١٣٤٩هـ) حينما طلع بما يسمى بالظهير البربري ، ومضمون هذا الظهير في نوايا المستعمر وأهدافه هو تقسيم المغرب تقسيماً يسير على هواه ، ويحقق مصالحه ، فيقول عن قبائل : إنها بربرية ، وعند ذلك يجب أن تطبق**

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

□ في سوق الصفارين □

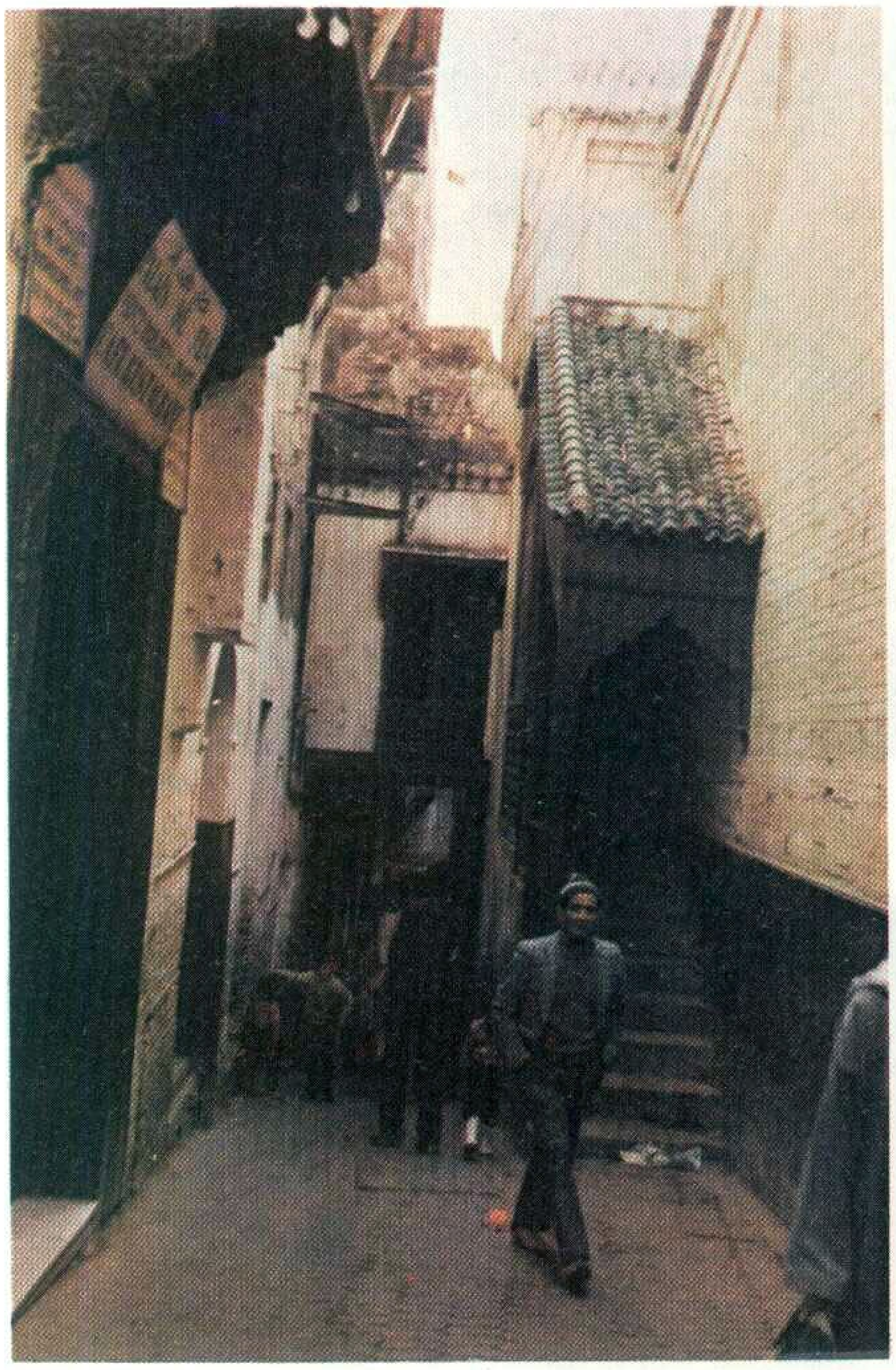

□ أنموذج لأزقة المدينة □

● جامعة القرويين في العصر الحديث تقف أمام دسائس الاستعمار ومحاولاته التشكيك في قيمة العلوم الاسلامية ومكانة اللغة العربية .

● علماء القرويين وطلبتها يحبطون مؤامرة الاستعمار الفرنسي على وحدة الشعب الدينية واللغوية والحضارية بمحاولة تقسيمه إلى عرب وبربر .

عليها أعراف بربرية قديمة ولهجات أمازيغية يزعم أنها هي اللائقة بها ، ويجعل « بزعمه » قبائل أخرى عربية ، تطبق عليها القوانين الشرعية .

وهو بذلك لا يخلص لا للعرب ولا للبربر ، وإنما يريد إيقاد الفتن والمشاكل والتآمر على الوحدة الدينية واللغوية والحضارية لشعب شاء الله سبحانه أن يوحد بين قلوب رجاله ، ويهديهم سواء السبيل ، ويجعلهم مسلمين مخلصين لدينهم ووطنهم طيلة أجيال من التاريخ ، وهذا الموقف النبيل الذي وقفه علماء القرويين وطلبتها هو الذي زحزح الفكرة الاستعمارية عن موقفها ، فضربت العزيمة الاسلامية بكل ما خطه الاستعمار عرض الحائط .

ووجدنا من قادة الحركة الوطنية الجهادية علماء من القرويين ، في طليعتهم : **علال الفاسي** ـ رحمه الله ـ **والشيخ محمد العربي العلوي** ـ رحمه الله ـ **وعبد الخالق الطريسي** من الذين جاهدوا وتعرضوا للمحن والأهوال والسجون والمعتقلات والمنافي ، ولكن الله سبحانه وتعالى بدَّل الأحوال ، وجعل هؤلاء القادة وغيرهم يشاهدون

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

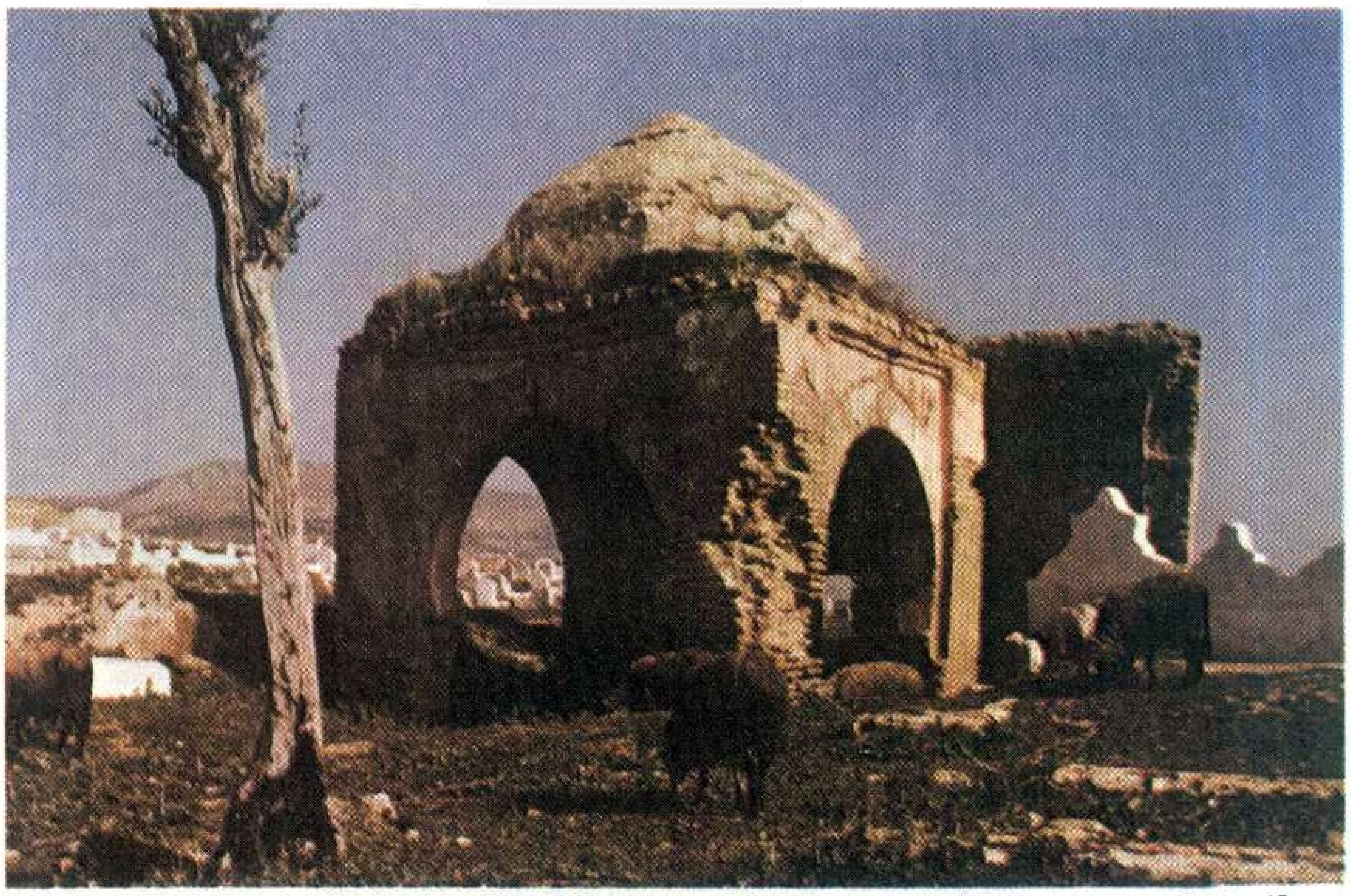

□ مقابر المرينيين □

□ سوق الحنّاء (قرب العطارين) □

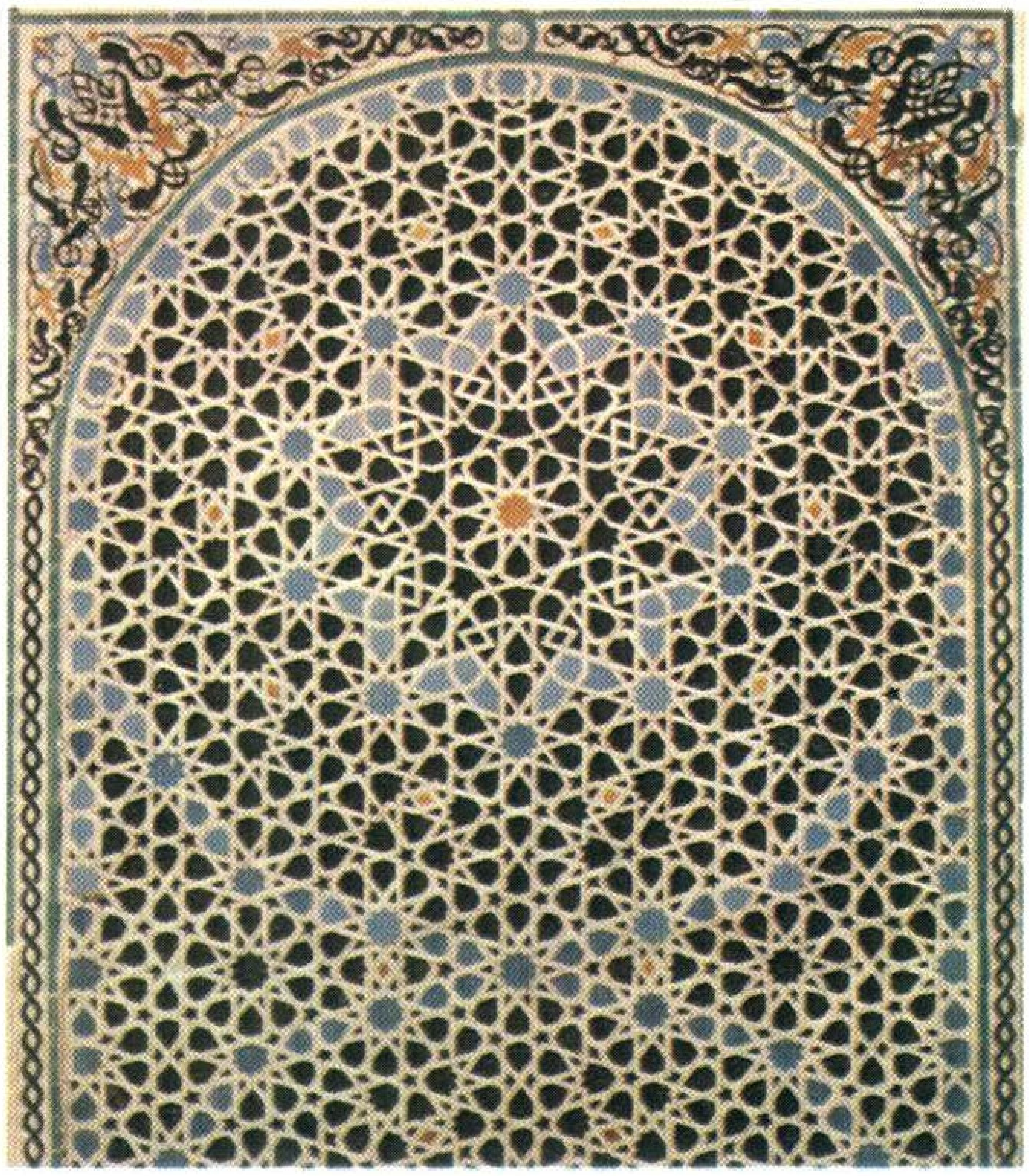

□ الزليج فخار ملمع ملون يقص على هيئات هندسية دقيقة وتركب منه أشكال زاهية براقة بألوانها وتنظيماتها . وهو غير الفسيفساء والقاشاني .. المعروف في مناطق أخرى من العالم الاسلامي □

بلادهم وقد رجعت إلى عزتها وكرامتها واستقلالها ...

وصار هذا من قبيل التاريخ حيث أن المغاربة وقفوا بعد انتصارهم في هذه المعركة وقفة رجل واحد ، **وقاوموا بإيمانهم وعزيمتهم المستعمر إلى أن كانت النهاية سنة (١٩٥٦م)** حيث تكللت الجهود بالاستقلال والوحدة ،

وأصبحت البلاد المغربية تشق طريقها إلى التقدم والازدهار والبناء والتشييد ..

والوضع الآن في **التعليم** اتسع غاية الاتساع ، فأصبح اسم **القرويين** يعني **الاسم الجامعي لعدة كليات في المغرب** ، منها :

كلية الشريعة بفاس ، **وكلية اللغة العربية بمراكش** ، **وكلية أصول الدين بتطوان** ، **ودار الحديث الحسنية بالرباط** ، وهكذا عم إشعاع الثقافة الاسلامية التي كانت مجتمعة في القرويين الأقاليم المغربية . وهناك مشاريع لإنشاء كليات أخرى ، وبعضها أنشىء فعلاً في **سوس** ، حيث نجد **الثقافة الاسلامية العربية** من علوم الحديث والتفسير والفقه والنحو واللغة تدرس في هذه الكليات على نطاق واسع ،

وفي مستوى جامعي يليق بالأصالة المغربية المعروفة ..

من التعجيم المفروض الى التعريب المنشود

لقد ترك الاستعمار تركة ثقيلة العبء : **التعجيم في المصطلحات والأسماء والدراسة** ، وكان هذا العبء الثقيل لا يمكن أن يزحزح دفعة واحدة ، بل إن المغاربة استعملوا نوعاً من الحنكة والدراية لأجل أن يخرجوا من **هذا التعجيم** ، المفروض إلى **التعريب المنشود** ، وفعلاً قطعوا في

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QURANIC THOUGHT

هذا الميدان أشواطاً بعيدة المدى ، فهناك إدارات في المغرب تحررت نهائياً من عبء التعجيم وأصبحت تُسَيَّـر دواليبَها اللغةُ العربيةُ الفصيحة حيث إن **وزارة العدل** بسائر أجهزتها ومستويات محاكمها لا تستعمل إلا اللغة العربية ، **وفي التعليم** تعرب التعليم الابتدائي وقسم كبير من التعليم الثانوي والعالي ، **إلَّا أن قسماً من التعليم ما زال يؤخذ بلغات أجنبية لأن المستويات والأطر ما زالت لم تتكون في المستوى المطلوب باللغة العربية** ، لكن الخطوات في هذا الميدان بدأت .

وإن اللغة العربية ، والحمد لله ، في المغرب بخير لأنها جزء من عقيدة الأمة ، **فالثقافة العربية هي في أصلها جزء من الحضارة الاسلامية ،**

بل وإن عبادات المسلم متوقفة على القرآن ، والقرآن مفتاحه لغة الضاد ..

□ الحياة داخل فاس القديمة □

□ الاعتزاز بالمهن المتوارثة □

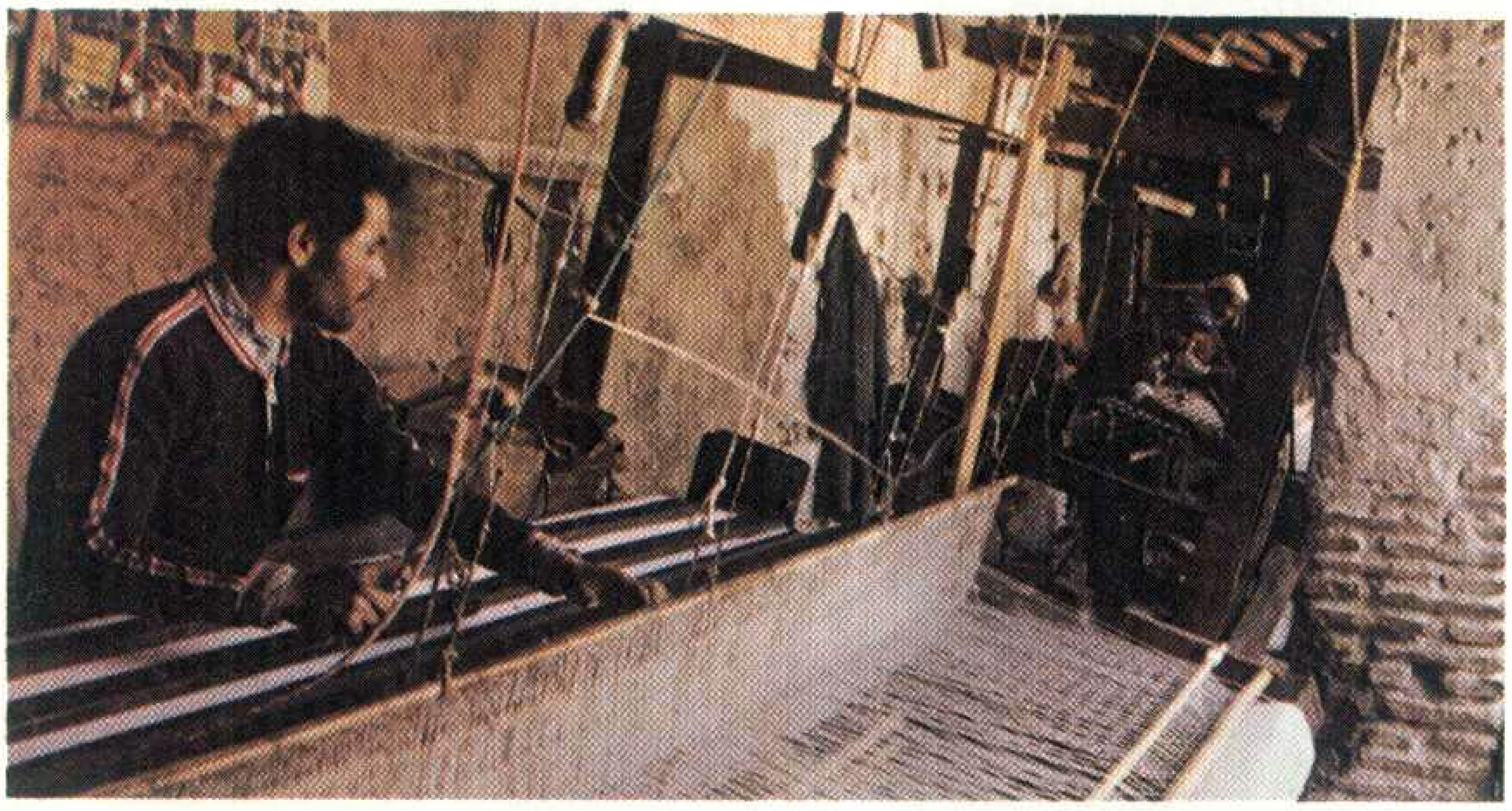

□ النساء يخرجن من مسجد القرويين بعد صلاة الجمعة □

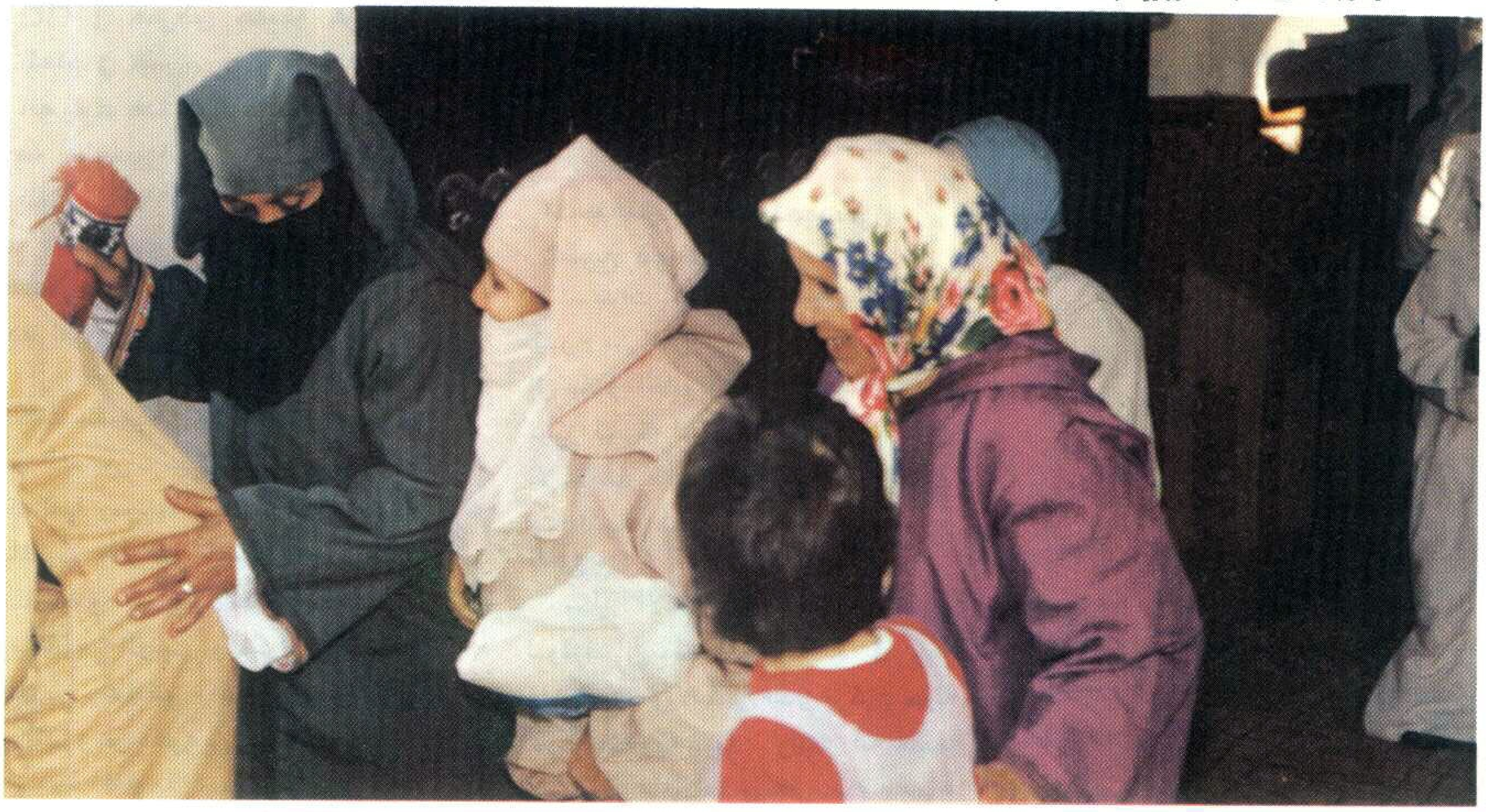

This file was downloaded from QuranicThought.com

لقاءات .. عن الانسان والمدينة

الاسلام .. أساس حركة المقاومة

□□ العلاقة بين الانسان المسلم ومدينته ـ فاس ـ تحمل رصيداً زاخراً من المشاعر النابضة بالحياة ، منذ أن فتحت ذراعيها واحتضنت القادمين إليها من الأندلس والقيروان وغيرهما (٦٧٢هـ) .. كعاصمة للعلم والجهاد ..

ونحاول هنا إلقاء نظرة متكاملة على أبعاد هذه العلاقة من خلال إجراء لقاءات مع :

واحد من رموز حركة مقاومة الاستعمار ...

وشيخ من القادمين من الريف لتلقي العلم ، معاصر لحركة عبد الكريم الخطابي رحمه الله ..

وثالث من المتخصصين بالهندسة المعمارية ، والمحافظة على المدن القديمة □□

الاسلام .. أساس حركة المقاومة

كان أول لقاء لنا مع :

● الشيخ **الحسن أبو عياد** (٧٨ عاماً) .. ولد بالمملكة المتحدة ، حيث كان يعمل والده تاجراً (يونيو ١٩٠٤م) .. وبعد تسعة أشهر رحلت أسرته إلى فاس ..

حرص والده على أن ينشأ **الحسن** نشأة دينية إسلامية ، فتلقى العلم بالعربية ، ثم التحق **بالقرويين** ودرس فيها عشر سنين ، بعدها رحل إلى مصر يواصل في **الأزهر** ما بدأه من دراسة (١٩٢٦م) .

□□ في معرض حديثه عن العلم في فاس ، يذكر الشيخ أبو عياد هذا الدعاء الذي دعا به مؤسسها المولى إدريس الثاني (٦٧٢هـ) :

ـ « **اللهم اجعل العلم يتنزل من صدور أبنائها كما يتنزل الماء من جدرانها** .. » ويضيف :

[... وقد استجاب الله تعالى دعاءه فكانت القرويين .. التي أصبحت ـ على مر العصور ـ منبراً للحركة الاسلامية السلفية ومرجعاً علمياً في كل ما يتعلق بالمغرب وتاريخه وحضارته ، لا سيما ما يتعلق بتراجم العلماء وحياتهم ونشاطهم العلمي والفكري في المغرب العربي والأندلس وأقطار المشرق ..] .

□□ وعن القرويين ودورها في حركة المقاومة ، وكيفية تعامل الاستعمار الفرنسي معها يقول الشيخ أبو عياد :

ـ بدأت المقاومة من **فاس** ، وأخذت تتدرج من **القرويين** ثم تشعبت وانتقلت إلى داخل الثانويات .. فكانت **القرويين** مركزاً لحركة المقاومة ، لذلك عندما دخل الاستعمار الفرنسي **فاس** ، كان أول ما اتجه لضربه ومحاربته .. **القرويين** .

وكان **الاسلام** هو الدافع الأقوى لوقوف أبناء هذه البلاد في وجه المستعمر ، والأساس الذي تركزت حوله حركة المقاومة فيها .. وأذكر أنه حينما كان يؤتى بالمجاهد وتنهال عليه السياط ضرباً وتعذيباً ، كان يهتف باسم الله تعالى : **الله أكبر .. الله أكبر .. لا إله إلا الله** ..

أذكر ذلك جيداً ، فقد كنت أحد رجال هذه المقاومة ، ووقفت في صفوف المجاهدين في الحرب ضد الفرنسيين ، واعتقلت وأبعدت منفياً إلى سوريا ثمانية عشر شهراً ..

ذهبت إلى **مصر** ـ وكنت وقتها أكمل دراستي بالأزهر ـ فاستعنت بالصحف المصرية وجمعية الشبان المسلمين وأديت دوراً ناجحاً بفضل الله وتوفيقه .

وبهذه المناسبة ، أود أن أشير إلى أن

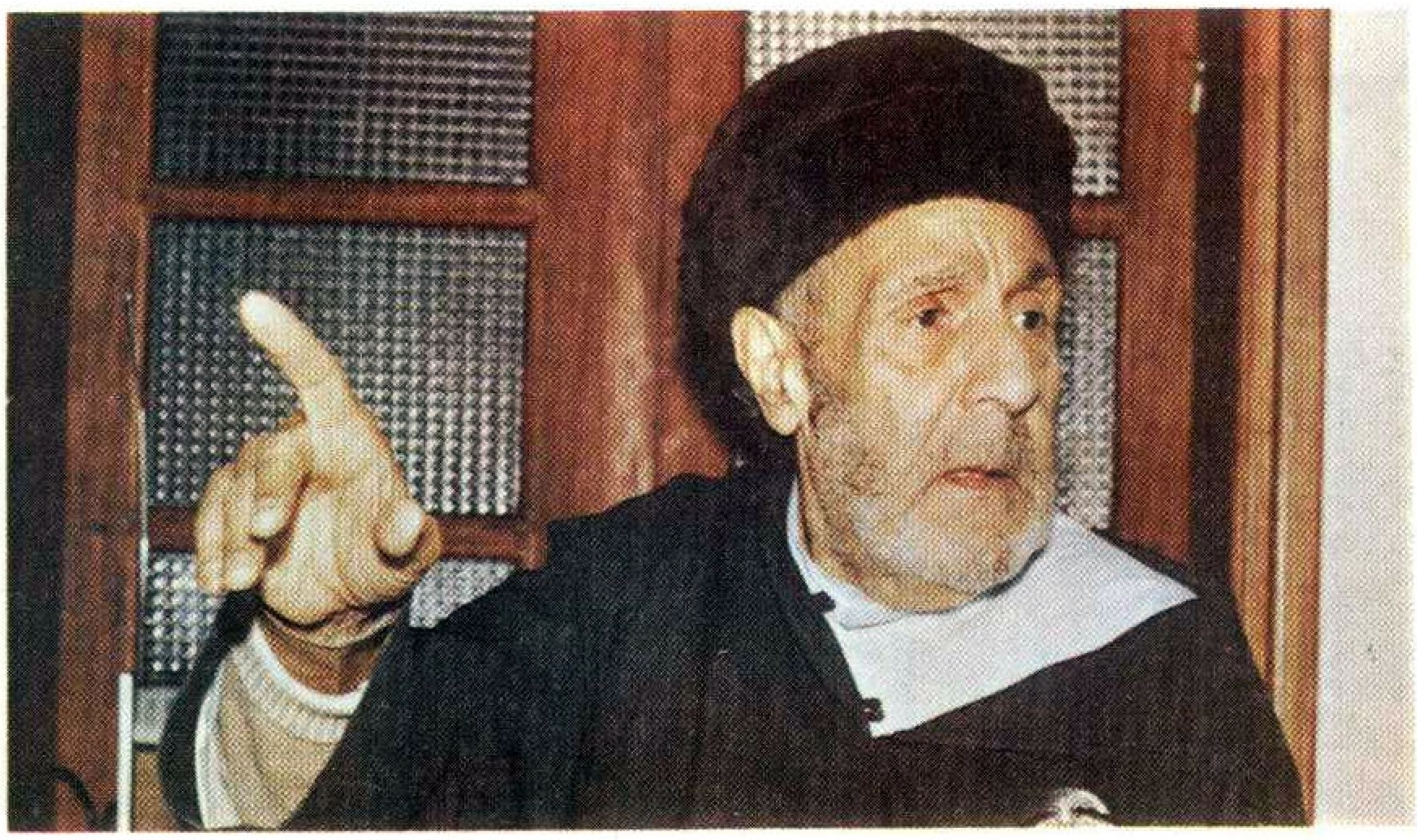

□ المجاهد الحسن ابو عياد
كان الفرنسيون يقولون « أنتم مغاربة ما علاقتكم بمصر وسورية والعراق » □

■ إذا حاولنا ـ باسم الانقاذ ـ أن ننتزع من « فاس » حيويتها فسوف نقتلها .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

واحة العلم والمعرفة في مواجهة التنصير

□ الشيخ احمد محمد الحجامي شاهد التاريخ يروي قصة كفاح رجال القرويين وثورة الريف □

■ المحافظة على المبنى ثمرة للانتاج فيه فلابد من الحفاظ على المهن .

فكرة « **الجامعة الاسلامية** » كانت قد وصلتنا عن طريق مجلة « **المنار** » وكتابات **جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا** عندما كنا طلاباً في **القرويين** .. لقد كنا ندرس هذه المجلة داخل الخلايا والشعب السرية التي أنشأناها كنواة لحركة المقاومة إبان الحرب العالمية الأولى ، **فماذا كان موقف الفرنسيين من فكرة « الجامعة الاسلامية » ؟**
لقد قاوموها بكل قوتهم ووقفوا في وجهها بشدة ، وكانوا يقولون لنا : « **أنتم مغاربة ، لماذا تدخلون الجامعة الاسلامية ؟ ما هي علاقتكم بمصر .. بسوريا .. بالعراق ..!؟** » .

هذه هي سياسة الاستعمار الفرنسي التي استعملوها لتمزيق الأمة الاسلامية ، وهي السياسة نفسها التي استعملها لتمزيق كيان الوطن المغربي من الداخل .. فبعد تأسيس المدارس الثانوية ، بدأ المستعمر **يدس أفكاره من خلال العملية التعليمية** ، فأثار دعوات الديمقراطية « الزائفة » والتحرر « من القيم » وغيرها ، كما عمل أيضاً على **دس عناصر موالية له في داخل القرويين** ، غير أن **أخبث** ما فعله المستعمر هو تأسيسه لمدرسة ثانوية - في مدينة من مدن **البربر** - باسم « ثانوية طارق بن زياد » ولقد عانينا كثيراً من هذه المدرسة ومن العناصر التي تتخرج فيها ، ذلك أنها نشأت على الثقافة الفرنسية المطعمة بعنصرية قبلية زرعها الاستعمار في مناهجها الدراسية **بهدف إثارة نزعات جاهلية .. حتى إنه أنشأ قسماً خاصاً في جامعة السوربون لدراسة اللغة والأدب البربري** .

وهذه المناهج تدعي فيما تدعي بأن البربر هم أصحاب البلاد الأصليين ، وأن العرب محتالون عليهم ومعتدون .. وقد استطاع المستعمر - بهذه الوسيلة - إثارة جاهليات وعنصريات كانت تسود المجتمعات قبل الاسلام ..

ولكن بفضل الله كان الوعي الاسلامي كفيلاً بالقضاء عليها ، فالاسلام يوحد النَّاس ولا يفضل عنصراً على آخر إلَّا بالتقوى والعمل الصالح ، فالمؤمنون إخوة سواء أكانوا عراباً أم بربراً ..

والتقينا - بعد ذلك - **بالشيخ أحمد بن محمد الحجامي** (١٣١٨هـ) القادم من الريف (قبيلة زرول في شمال البلاد) لتلقي العلم بالقرويين ، لدراسة التفسير والحديث والفقه والتوحيد والمنطق .. وعاش فترة الكفاح والمقاومة - بالسلاح والسياسة - وعاصر زعاماتها ..

وعن الخطوة الأولى للقرويين على طريق العلم - كان سؤالنا ...

□□ **كيف وصل العلم إلى القرويين ؟؟**

● **يقول الشيخ الحجامي** :

- [وصل العلم إلى القرويين من **مصر** عن طريق **تونس** ، **فتلمسان في الجزائر** .. وأيضاً من **الأندلس** ، أما من مصر ، فقد نقله **ابن قاسم المصري** تلميذ **الإمام مالك** ، الذي أقام عنده في المدينة عشرين عاماً - وهو الذي نقل المدوَّنة التي ألَّفها سحنون ، ثم من تونس نقله **أسد بن الفرات** .. وأما من الأندلس فقد نقل عن طريق **يحيى بن يحي الليثي الأندلسي** ، وإليهما - هو وابن قاسم - يعود الفضل في اتباع أهل المغرب المذهب المالكي ..

This file was downloaded from QuranicThought.com

لقد انتقل العلم إلى القرويين من هنا وهناك على أيدي الرجال والوفود ، خاصة تلك التي كانت تأتي من **الجزيرة العربية** إلى المغرب في عهد **المولى إدريس** ، وأيضاً عن طريق من اعتنق الاسلام من أهل الكتاب أمثال **الشيخ « نيجارا والشيخ المنجور »** وغيرهما ..

وهكذا استقر العلم في فاس .. وفي مسجدها - القرويين - ليشع منه وينتشر ..] .

□□ وعن الطريقة التعليمية في القرويين ؟

— [لم يكن التعليم في **القرويين** منتظماً أول الأمر ، فكان الطالب يدخل المسجد ويجلس في أي **حلقة** يختار ، ويتلقى العلم عن من **يختار** من **العلماء والمشايخ** الذين يزخر بهم المسجد ..

وقد اعتنى علماء القرويين - كثيراً - بتدريس **الفكر والأصول والفقه** ، وما يتعلق بها من علوم أخرى **كالتوحيد والعروض والمنطق** ، أما تدريس التفسير والحديث فلم يهتموا به كثيراً بادىء الأمر ، بالرغم من وجود حلقات له تعقد فيما بين العشاءين ..] .

□ الزعيم علال الفاسي رحمه الله :
قيادة الجهاد في سبيل الله بالسيف والقلم □

□□ ولا يخلو الحديث مع أحد - من أبناء القرويين - من تذكّر الاستعمار الفرنسي ، وما صاحبه من الكفاح ، وما كشف عنه من الدروس .. فيقول الشيخ الحجامي ... متذكراً :

— عندما أحكم الاستعمار الفرنسي قبضته على البلاد وجد عند البربر قضاة يقضون بين الناس **بالعرف وليس بالشريعة الاسلامية** ، فأبقاهم الاستعمار على ما هم عليه ، وكان **يهدف** من وراء ذلك إلى **تنصير** هؤلاء البربر شيئاً فشيئاً ، ومن ثم **تنصير الشعب بأسره** ، فقام الشباب من طلاب القرويين يعلنونها **جهاداً** إسلامياً ضد المستعمر **وخططه التنصيرية** ، وكان على رأسهم **علّال الفاسي** - رحمه الله - أحد زعامات حركة مقاومة الاستعمار ..

وتجدر الإشارة هنا إلى أن كل أبناء فاس وقفوا في وجه المستعمر وقاوموه ، وانتظموا في حركة الجهاد - حسب قدراتهم - فمنهم من قاوم بالسلاح ومنهم من قاوم بالأساليب السياسية .

فـاس .. هل تنتزع منها الحياة باسم الإنقاذ ؟

●● وكان لقاؤنا - الثالث - مع العربي أبو عياد المهندس المتخصص بالمحافظة على المدن القديمة - بوزارة السكنى والتراب الوطني .. في حوار حول معاناة المدينة القديمة - فاس - وبعض الرؤى التي تهدف إلى إعادة الحيوية إليها ، حتى تتابع دورها التاريخي بشكلها ومضمونها .. بإعادة تصميم مواقع كثيرة فيها ، وباسترجاع الوظيفة الأساسية التي عرفت بها المدينة .. « فاس » .. ●●

■■ حول فكرة الدعوة لإنقاذ مدينة فاس القديمة يقول المهندس أبو عياد :

— ترجع الدعوة لإنقاذ مدينة فاس الأصلية إلى إحدى توصيات مشروع « التصميم الدائري لمدينة فاس » ..

الذي أشرفت على إعداد الدراسات الأولية له فرقة وطنية من مهندسي وزارة السكنى والتعمير بالمغرب .. يدعمها عدد من الخبراء الوطنيين العاملين في القطاعات المختلفة .. هذا إلى جانب فرقة دولية من الخبراء ، كمساهمة من اليونسكو في مرحلة الدراسات .. والمشروع يهدف أساساً إلى تهيئة فرص وإمكانات التوسع في المدينة حتى عام ٢٠٠٠م .. وتبين الدراسات التي استمرت ثلاث سنوات ، أن هناك ثلاث كتل سكنية في مدينة فاس ..

أولاً : **كتلة المدينة القديمة** (٢٨٠ هكتاراً) .. **ويسكنها ٢٥٠ ألف مواطن من أصل ٥٢٥ ألفاً ، هم العدد الكلي لسكان المدينة - خلال فترة الدراسات** (١٩٧٦ - ١٩٧٧م) .

ثانياً : **كتلة المدينة الحديثة** .. (١١٠٠ هكتار) وعدد سكانها - خلال الفترة نفسها - **٧٥ ألف مواطن** ، أي أن مساحتها تعادل أربع مرات مساحة المدينة الأصلية بينما سكانها يمثلون ٣٠٪ فقط من سكان المدينة الأصلية ، وبالرغم من ذلك فإن الخدمات والانجازات والطرق الشاسعة مركزها في المدينة الحديثة .

ثالثاً : **كتلة عين قادوس** .. وهي تقع بين المدينة القديمة والمدينة الحديثة .. ونسبة عدد سكانها متوازنة - إلى حد أنها تعادل النسبة العالمية المعروفة (**٤٥٠ - ٥٠٠ ساكن في الهكتار الواحد**) .. إلَّا أنها تعاني - مثلها مثل المدينة القديمة - من نقص الخدمات ..

وهناك أيضاً **كتلة سكنية رابعة** .. هي التي تتخذ من بيوت الصفيح ، التي تحيط بالمدينة ، سكناً لها .

FOR QURANIC THOUGHT
This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

□□ ما هي المشكلات التي تعانيها المدينة القديمة ؟؟

ــ من أخطر ما تعانيه المدينة القـديمة .. الاكتظاظ والكثافة السكانية التي لم تكن معدَّة أساساً لتحملها .. فمثلاً بعض البيوت التي كانت مهيأة أساساً لأسرة أو اسرتين ، أصبح يسكنها (١٩٧٦م) ٤٣ أسرة ..! فتوضع للبيت حواجز داخلية ، تُقَطَّع أفقياً وعمودياً .. وبالطبع كل ما في المدينة لم يكن معداً لهذا العدد .. مجاري المياه (الصالحة وغير الصالحة للشرب) التي كانت موجودة داخل البيوت من قرون ـ بطريقة تقليدية ـ امتدت إليها يد الإهمال والنسيان ، فكل ما يتعطل منها لا يجد من يصلحه لأن النَّاس الذين كانوا يعرفون ذلك هجروا المدينة ..

إن عدم وجود مناطق سكنية ـ في شرق المدينة الأصلية ـ تحميها من الهجرة القروية المتزايدة إليها ، يُعتبر من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى ما تعانيه من مشاكل الاكتظاظ السكاني ..

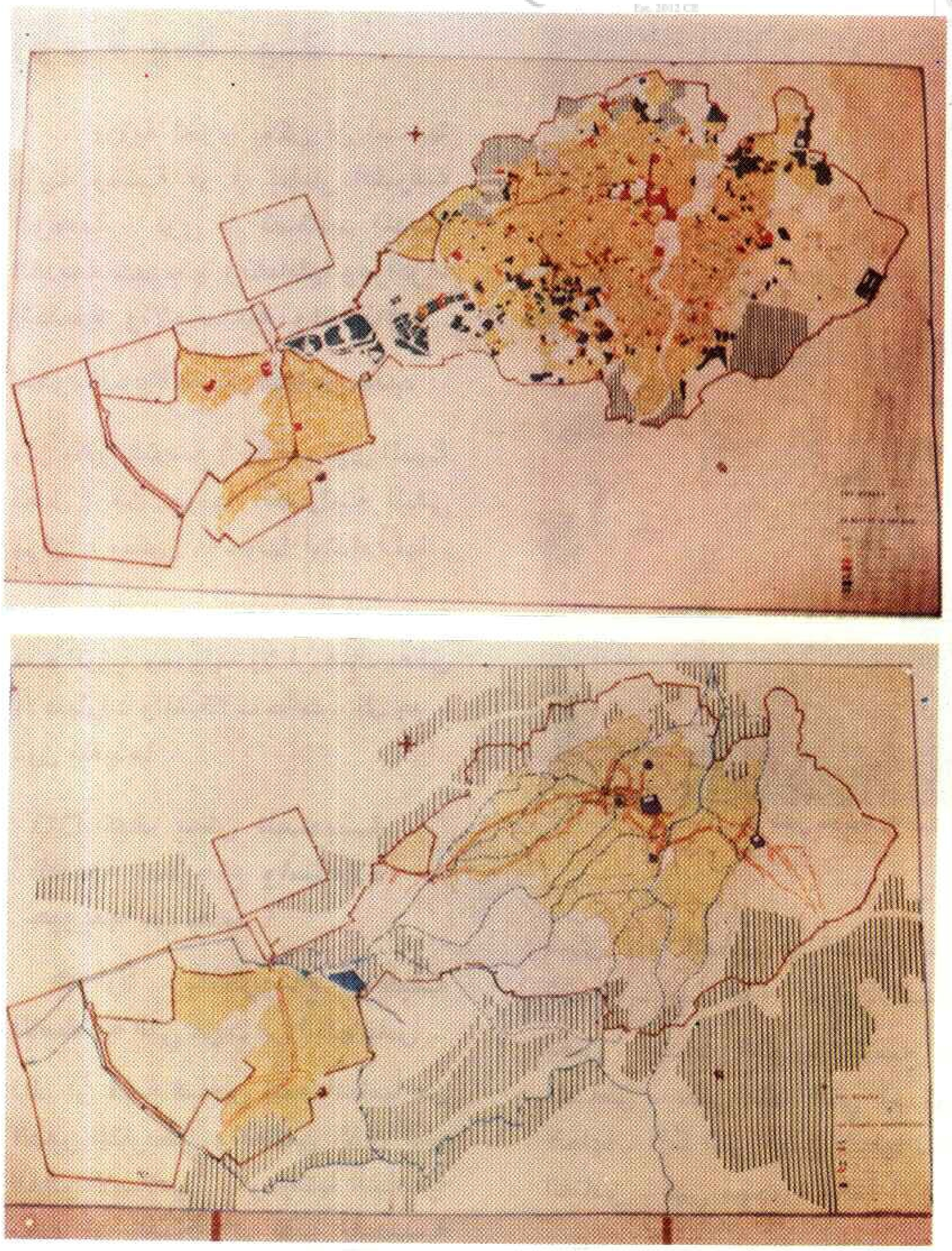

□ انموذج للدراسات الهندسية في مشروع إنقاذ فاس □

عملية الإنقاذ

● المهندس العربي أبو عياد :

■ في الغرب يحافظون على أشياء ليست لديهم إمكانية إنجازها مرة أخرى ، فتتحول إلى متاحف لاتؤدي وظيفة عملية .

□□ كيف جاءت الآراء حول عملية إنقاذ المدينة ؟

ــ اختلفت الرؤى حول تصميم المدينة وإعادة تنظيمها ..فكانت رؤية الخبراء الأجانب تتمثل في افقاد المدينة القديمة أهميتها واستمرار نقل المراكز الأساسية منها وأن تستمر عملية التوسع (التي تتم بصورة عشوائية حالياً) باتجاه الأراضي الزراعية جنوب المدينة العصرية .. مما يعطي احتمال تركيز المراكز ، مستقبلاً ، في قلب المدينة العصرية وبالتالي « تهميش » المدينة القديمة وإهمالها .. أو على أقل تقدير إبقاؤها على ما هي عليه ..

□□ ما هي مسوغات هذه الرؤيــة ؟

ــ تذهب هذه الرؤية إلى أنه في « تهميش » المدينة القديمة وإهمالها محافظة عليها .. كما ان التوسع ما دام يتجه طبيعياً ناحية الجنوب فلا داعي لإيقافه .. وكان يدعم هذه الرؤية أن الأراضي الواقعة إلى الشرق من المدينة القديمة غير صالحة للبناء .. مما دفع مهندسين من وزارة السكنى والتعمير من العاملين بالفرقة الوطنية إلى دراسة المنطقة فتوصلت إلى أنَّ هذه الأراضي صالحة وقابلة للبناء .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

□ فاس مدينة الاصالة الاسلامية عاصمة العلم والجهاد □

رؤية وطنية

... ورؤية أخرى يمكن أن نسميها رؤية وطنية أو في **إطار الفرقة الوطنية** .. ترى أن **تستعيد المدينة القديمة حيويتها ونشاطها ومراكزها العلمية والاجتماعية والصناعية ،**

لتعود الحياة تنبض فيها من جديد ..

وأن يكون التوسع (على مستوى المدينة ككل) من جهتها الشرقية لتبقى مركزاً ، ويكون ما حولها امتداداً لها .

وعلى الرغم من الاقتناع التام بصحة هذه الرؤية وجدواها إلَّا أن هناك بعض الاعتبارات والمشكلات حالت - إلى حدٍ - دون تنفيذها .

□□ كيف يمكن للمدينة القديمة استرجاع واستعادة حيويتها من جديد ؟

● أولاً : **باسترجاع الوظيفة الأساسية** التي عرفت من أجلها فاس ..

ذلك أنَّ قيمة **فاس** تنبع أساساً من **الدور التاريخي والعلمي** الذي أدَّته للعالم الاسلامي .. فوظيفتها الجامعية يجب أن تعود إلى **قلب المدينة القديمة** .. لذلك وضعت الفرقة الوطنية في مشروعها : **تأسيس معهد للدراسات الإسلامية** يكون بمثابة خطوة أولية لاسترجاع الحيوية الجامعية لقلب المدينة .. وخصصت له مكاناً بالقرب من جامع القرويين ، وهو المكان الذي يقوم عليه فندق الشمَّاعين وفندق السبطريين ومدرسة الشراطين ..

ثانياً : إنشاء **مدرسة مهنية ترعى الصناعات التقليدية** التي تزخر بها المدينة وذلك إحياءً لدور مدرسة السفارين التاريخي .

ثالثاً : إعادة **تنظيم المراكز التجارية بالطريقة التي كانت عليها المدينة وفق المبادىء الأساسية للتعمير الاسلامي** والتي ترى بأن الوظيفة التجارية يجب ألَّا تمارس في المناطق السكنية .. ولسبب عدم وجود مجال آخر للعمل في المدينة - غير التجارة - بدأ هذا التوازن الدقيق يختل ، وبدأت التجارة تكتسح كل المناطق - حتى تلك التي لم تهيأ لأجلها .. أمَّا التي هُيئت لأجلها - مثل الفنادق - فهي مهجورة تماماً الآن ..

□□ في رأيكم : هل بالإمكان ترميم المباني القديمة وإعادتها إلى الشكل الفني الذي نشأت عليه ؟

— في اعتقادي أن **المبنى مثل الإنسان .. فالإنسان الذي تتركه يعيش في المجتمع بدون وظيفة يخرب** .. فإذا نحن رمَّمنا المباني ولم نعطها وظيفة تؤديها في المجتمع فإنها ستعود إلى حالتها ، لذلك كان برنامج الفرقة الوطنية مركزاً أساساً في **إعادة الحيوية إلى المدينة** ، ففي إعادة الحيوية **محافظة على المباني** .. وعلى **قيمتها الأثرية والتاريخية** كذلك .. وهذا هو جوهر الأمر ..

يشيع بعضهم بأنه **من الصعب والمستحيل ترميم هذه المباني** ولكن هناك حقيقة لابد من التنويه بها ، وهي أن **النظرة في المحافظة على الآثار في حضارتنا الاسلامية تختلف تماماً عن النظرة الغربية الأوربية** .. فالغربيون عندما يحافظون على شيء ، إنما يحافظون على شيء **ليست لديهم إمكانية إنجازه مرة أخرى ..**

أمَّا بالنسبة إلينا ، **فكل المهن التي أنشأت المباني القديمة ما زالت موجودة** لذلك هي التي يجب أن نحافظ عليها ونرعاها ونتعهدها .. إنا **بالمحافظة على مثل هذه المهن وعلى رجالها إنما نحافظ على البناء ..**

وإذا حاولنا أن نطرح الفكرة التي تجمع بين **الانتاج والمحافظة** ، يمكننا القول **بأن المحافظة على المبنى ثمرة للإنتاج فيه بينما المحافظة وحدها لا تعني الانتاج ولا تدل عليه** .. فقد تكون المحافظة ، ولكن يتحول المبنى إلى متحف لا يؤدي وظيفة ..

ولهذا فإن المدينة القديمة وبالرغم مما تواجهه من مشكلات ، فهي ما زالت **محافظة على كثير مما بها** .. وذلك لأن فيها **حيوية ونشاطاً** .. فإذا نحن حاولنا - **باسم الانقاذ - أنْ ننتزع منها هذه الحيوية** وهذا النشاط فنحن ، إنما نقتلها بذلك ولا ننقذها ..

This file was downloaded from QuranicThought.com